

مستقبل جمعية الامم

بقلم المسيو لودويك نودو

استجمعت الفكر اثناء انعقاد الجلسة السادسة لجمعية الامم للكتابة عن مستقبل الجمعية ، ثم ترددت في الامر وجدتني لا استطيع اغناء الموضوع فتريت حتي ارفض الاجتماع ونكون لدي رأي ثابت عنها تدعمه بعض الحقائق الرائعة :

ما هو مستقبل جمعية الامم ؟ ان مستقبلها منوط بمستقبل الهيئة البشرية جمعاء ذلك المستقبل المجهول الغامض ، اما مجهوداتها التي قامت بها حتى الآن فهي من قبيل التجارب التي لم يسبق اليها غير اننا نرى هذه التجارب تعاد وتكرر من آونة الى اخرى دون ان ندرك نتائجها العملية . ولا يسعنا في هذا المقام الا امعان النظر في تلك المجهودات الجسدية والتأثر والاستسلام للعاطفة التي يوحىها اليها منظر المجتمعين في قاعة الجمعية . ان وجود ممثلي اربع وخمسين دولة في قاعة واحدة بينهم ثلاثة عشر وزيراً للاشغال الخارجية ، وحضور نفر من نواب الرجال الافذاذ لا نقاذ البشرية من وهداة الحروب والملاحم ، لدليل قاطع على عظم هذا الحادث الخارق الذي يعد اكبر محاولة حاولها الناس للخلاص من عوائدهم الموروثة ، وابدعوا شأوا وصلت اليه مدينتنا الحاضرة في الرجوع الى الرشاد والحكمة . عندما تتملكتنا الخبرة ونقف مترددين في اختيار احسن الوسائل الموصلة لتحقيق تلك النزعات المثلى ، لا نجد امامنا من ينجدنا سوى مدينة جنيف حيث يتعاون الذكاء البشري ويجتهد في معرفة ذاته والرجوع الى نفسه والتبصر في اموره . نعم انه يحاول الآن

ادخال المدنية الى حظيرة معرفة الذات والولوج بها الى دور جديد لم يتبينه اسلافنا الا في الافق البعيد ولم يروه الا في تخيلاتهم . ان هذا العمل الشاق هو من قبيل تحدي الفراز الحيوانية واستدعائها للمكافأة والنزال .

يرددون على الالسنه في اوربا الآن اقوالاً عن الحروب المقبلة وبوردوت التكهنات عما سيجدث في المستقبل . فهنغاريا و-دها ، التي تقطعت اوصالها ، تطمح لاستعادة المقاطعات المنفصلة عنها . ثم ان المانيا و بولونيا تحاولان الامتياز على مصب نهر الفستول لان مصالح هاتين الدولتين تتعارض امام ميناء دانسك الحر . اما خارج اوربا فان الشعوب اناهضة حديثاً قد وضعت نصب اعينها تحقيق ميولها الوطنية وتدرعت بجميع الوسائل للتخلص من الوصاية وتأهبت للمناوأة والهجوم . وهناك شعوب اخرى متدنية تصارع اوربا العدا وتتهباً لمغالبة الجنس الابيض وقد بذلت جمعة الامم تجاه ذلك كله غاية جهدها لا سماع صوتها وابلغ رسالتها الادبية الى جميع الناس ، غير انه لا يزال البعض يصمون آذانهم ويهزأون من الجمعية ويقولون عنهم انها لا بد ان تلاشي وتطفي انوارها التي وصلت اقصى المعمور ولكنهم لو اعملوا الفكرة قليلا قبل القاء الكلام على عواهنه لوجدوا انها لا تزول وتبقى الا في سيل جارف من الدماء الزكية قد يحرق معه معالم مدينتنا . واذا كان الناس يفتشون بحق عن سبيل خلاصهم فلا يجب ان ينظروا خلفهم ، وعليهم ان ينظروا الى الامام و يراقبوا المستقبل البعيد فلتعش الى الامام اذن متدرعين بقوة الارادة .

عندما جلست في شرفة الصحافيين واجلت الطرف في تلك القاعة القائمة الزوايا حيث اجتمع ممثلو اربع وخمسين دولة سررت بالاكثير من حسن الترتيب لامكنتهم بدون اقل تمييز بينهم فقد تعدد وراء الوفد الفرنسي المهرجا بيتيالا وعلى رأسه عمامته الزرقاء وفي اذنيه الشوف اللامعة ، وتوسط الاثيوبيون المكدو اللون الاستونيين والفنلنديين ، ولم يفسح انواب بريطانيا العظمى مكان اوسع من المكان الذي خصص

لممثلي حكومة ارلندة الحرة ، وقد احاط وفود الهند وليتوانيا والبارغواي والنيكروغواي نواب جمهورية لوكسنبورغ الصغيرة وكافي بهم بتساؤلون ويقولون لماذا اتينا الى هنا وما الذي سنعمله ونقترحه ؟

لقد احسنت الجمعية صنعا بعدم تمييز الدول الكبيرة عن غيرها وتخصيصها بافضل المقاعد فمثلو الامم اذن قد جلسوا متساوين امام الحق . وقد قال المسيو بريان في خطابه الذي القاه في شهر مارس المنصرم : (ان اجل واشرف ما في البروتوكول هو عدم التمييز والتفاوت بين الدول الكبيرة والصغيرة فهو يعتبرها متساوية في السهر والحفاظ على سلام العالم) . ونحن وان كنا نؤمن على ما قاله هذا الخليل القدير غير اننا نعجب كيف تصح المساواة بين ممثلي دول غير متساوية ان هذه المساواة الظاهرة ليست الا خدعة لانه يوجد في جمعية الامم دول كبيرة بمخز مدرعاتها الضخمة في البحار وتملاً جبهوشها الجرارة السهول ، ودول صغيرة اخرى لا تملك الا بضع نوافات ، فلا يصح اذن التغافل عن هذه الفوارق الهامة ، وغض الطرف عن الحقائق الملموسة ، ولا يعقل ان يستمد فائد الدارعة الكبيرة او امره و يذعن لقائد النشافة الصغيره اثناء النزاع على المرافق الحيوية .

الا بعد هذا التبجح دليلاً على ان الناس يأبون التعرف بالحقيقة المجردة ويفضلون الاستسلام لاحلامهم الذهبية ؟ تلك الحقيقة التي يدركها الجميع على السواء وهي انه يوجد في هذا الكون دول كبيرة ودول صغيرة . فالدولة الكبيرة لها مطامع واحتياجات ، وعندها مصادر القوة والسيطرة ، ولديها انتظامات الرقابة والكتل المتجمعة مما لا اثر له عند الدول الصغيرة . نعم ان بين الاربع والخمسين دولة الممثلة في جنيف اربع فقط تملك المدرعات الضخمة هي بريطانيا العظمى وفرنسا واطاليا واليابان فاذا انفصلت عن الجمعية وتحت عن الباقيين لا يلبثوا ان ينفرقوا ويشتتوا ابدي سباً نحن الآن امام رأي جوهري يتحتم علينا ايضاحه بما

يستلزمه من الجرأة والصراحة . فإذا كانت المجاملة الدولية تتطلب الجري على قاعدة المساواة ، وتعطي جمهورية هايتي مثلاً مكاناً في جمعية الأمم بمائل المكان المخصص ببريطانيا العظمى ، فلا شك أن الدول الكبيرة في الاوقات الحرجة لاتعود تهتم الا بنفسها ولتقرر ما يوافقها من الآراء التي يعرضها المحلفون العالميون المنزهون . فرض عهد جمعية الأمم وقرر بروتوكولها أكثر من مرة انزال العقوبة وتطبيق الجزاء على الدولة المعتدية في نزاع دولي . ولكن من ذا الذي يفرض العقوبة فيما لو طرأ حادث فجائي غير الاقوياء الغلصون سليمو النية فيوقعون بالاقياء الماكرين المعتدين اننا نعجب على كل حال بهذا المجلس الدولي المنعقد في جنيف وننظر نظرة الاحترام الى انه انبل عمل قام به النوع البشري رغم كوثنا نحن الفرنسيين باستطاعتنا ان نبث في مقدراتنا وتكيف علاقتنا التي تربطنا مع الدول المجاورة رأساً وكما تريد . لقد سارت جمعية الأمم حتى اليوم وفقاً لتعليمات هيئتها الادارية المشكلة من الدول الكبيرة التي نوهنا عنها . فتألفت الشعوب الاسيوية منها ونعتتها بالعصبة الاوربية فالصينيون مثلاً ، الذين بواقوف أكبر عدد بين الاجناس ، وتكفهر وجوههم عندما يجدون ان لانصيب لهم من الرأي في هذه العصبة وان ليس لهم ممثلون فيها . اما اليابانيون فلم في العصبة ممثل واحد وما نحن نراهم يتدخلون في المنازعات التي تشب بين الاوروبيين انفسهم كحكّكين ، ويتعشّشون في الشرق البعيد على سياسة مناصرة الاسيوية الضارة بمصلحة الجنس الابيض . فهل تعيش جمعية الأمم طويلاً في ظل مثل هذا النظام . انها محتاجة لكثير من المبادئ السامية حتى تصبح ذات سيادة عالمية وتحكم بالعدل ، في حين ان العالم نفسه لا يعرف المساواة فهناك شعوب ذات سيطرة وجاه ، واخرى لاتملك من الحق سوى ان تكون تابعة . امم مستعمرة دائماً الفتح واكتساح البلدان ، واخرى محكومة تقاوم هذه الفتوحات وتنافسها . فهل ينكر احد هذا الامر ؟

لابغرنكم ممثل هندي تزيته المجوهرات الثمينة في قاعة الجمعية فأت برطانيا العظمى هي التي جلبته واجلسته في ذلك المقعد بينا اخوانه الهنود الذين يختلفون عنه بالبزة والمظهر غير راضين . انظروا اليوم الى بلاد الصين تروا ان التهنؤات الوطنية التي امتدت الى كل مكان فيها قد اُخربتها . ان وجود الحكومة اليابانية في جمعية الامم بصفتها التمثيلية هو اعظم تشجيع للاجناس التي هي من غير الجنس الابيض في نزاعها مع الغربيين ، وهو ايضا دليل على استسلام اوربا ورضوخها للامر الواقع واعترافها بتلك الحكومة انها صارت من عداد الدول العظمى ويمكنها الاشتراك معها في ادارة شؤون العالم ، بمجرد انها رأت شعبيها على جانب عظيم من الذكاء والنشاط وقد ابى ان يسمح للاجنبي باستعباده وتمكن من التغلب على الامبراطورية الروسية العظيمة . اذا اجزنا لجمعية الامم بامتداد شوكتها على العالم اجمع نجدنا امام معضلة اخرى فتسأل : ماهي الامة ؟ وماهي القاعدة التي نركز عليها عندما نقول ان هذا الفريق من الناس يشكل امة ، وذلك الشعب يقتضي له البقاء مستعبداً وراضحاً لنبر الاستعمار ؟ لاندريه لماذا يستعمر ذلك الشعب ولا يتجوز له المطالبة بحقه في الحياة . فهل الروح العسكرية وحدها هي التي تضطرنا ان نعرف لفريق من الناس ان يشكل امة ؟ اذا كان الامر كذلك فنحن نعزز اذن مبدأ الحق للقوة . ولاشك ان الفرق شاسع بين ما تدعو اليه من المبادئ في خطبتنا وبين ما نفري عليه منها .

ان ايراد مثل هذه الاسئلة لايفضي الى نتيجة حاسمة بل يوهم الناس ويقرر في اذهانهم ان جمعية الامم قد انشأت على قواعد عالمية وانها ذات صلاحية واسعة في اننا لانرجو منها سوى المحافظة على معالم مدينتنا الخاضرة ورعاية مصالح الاوربيين انفسهم وصيانة متاجرم ومشاريعهم الكبيرة . وقد صدقت نظرية الدكتور « كود نهوف كاليرجي » التي رفعها للجمعية في تقرير موضوعه التنظيم الدولي ، وصدقت

جريدة الجورنال - التي تصدر في جنيف حين نعتته بموجد فكرة الاتحاد
الاوربي قال : -

« ان مسألة سلامة اوربا ادعى للاهتمام واقرب تناولا من مسألة سلامة
العالم وافرار السكينة بين البشر ، اذ لو نظرنا الى ما يجري في اسيا من الحوادث
وما يقع فيها من المشاكل لادر كنا ان هذا الامر اكثر تعقيداً مما كنا نتصور .
ولا شك ان تقسيم اوربا الى بضع كتل اقتصادية يؤول بنا الى الخراب وهو يصاد النظم
الاقتصادية الكبيرة المتنوعة التي ظهرت خارج اوربا اذ هي على وشك الظهور . ان
ثالث الامم الاوربية اليوم غير راضية عن تسوية تخومها وهي تحاول تبديلها بكل ما
اوتيت من قوة . فهذه الفكرة وحدها من شأنها تهديد السلام . لان الاستياء ناشئ
اكثره عن بواعث تاريخية وجغرافية واغراض عسكرية وآمال وطنية . فهل من العدالة
ابقاء التخوم بين الممالك على قاعدة التقسيم الجنسي ؟

قد يوجد وجه للعدل في ذلك غير ان المصالح الاقتصادية تنافي هذا التقسيم .
ان مشكلة التخوم الاوربية لا تحل على شكل مرضي بنقل الحدود وتغييرها ، بل
بالاقلال من اهميتها وملاشاتها تدريجياً . اما تبديل الحدود فليس له معنى سوى
اضرار نار حرب اوربية جديدة ، وعدم الاكتراث بها يعني افرار السلام في اوربا
لانها متى زالت وتوارت لا يبقى من يدافع عنها . »

ان المسيو كود نهوف يدعو الاوربيين لتنظيم بلادهم ويتاشدهم ان يتقدموا في
هذا السبيل خطوة خطوة لان الطفرة محال ، حتى يتمكنوا من تشكيل اتحاد اوربي
متين . ولا يتسع المجال هنا لتناول افكاره الصريحة الحرة وبجتها بالتفصيل والدقة
غير اننا نراها بعيدة المنال ، خارجة عن المألوف ، قريبة الى الخيال ، داعية للتفكير
والتأمل . هل يعقل ان تزداد الفة جمعية الامم وترتبط عراها المتفككة وتكسب من
القوة والمنفعة اكثر مما تفقده بتقلص ظلها ، حين تخلص جهودها في رغبة المصالح

الاوربية والمحافظة عليها . ويخالف لي انها ستؤدي في المستقبل الى غرضين وتؤلف « ان صح هذا التعبير » من دائرتين ، الاولى واسعة تتناول العالم بمحيطه وتوسع لجميع الشعوب ، والثانية ضيقة تختص باوروبا وحدها وتكون كنواة للاولى .

يظن البعض انه لا يستتب السلام في اوربا الا بتقارب شعوبها وتكون حلف بينهم وهم يريدون منا ان نعي بهذا الامر ونجمله ديدنا وشغلنا الشاغل بعد ان غرب عن خاطر جمعية الامم معالجته لانصرافها الى الاهتمام بما وكل اليها من المشاغل الكبيرة . ولكن الرأي الصائب والفكر الامثل بقاء هذه الجمعية محافظة على شكلها الدولي ونظرها الى القضايا العالمية ومناقشتها ، مع علمنا باننا في حاجة ماسة لانقاذ المدينة الغربية من وهدتها لتصبح اوربا واحدة قائمة بذاتها ولتأخذ شعوبها اتجاها طبعيا كاتودون ، ثم اقترضوا ان احد الاميركيين جلس في مكاني واطل من هذه الشرفة على قاعة الجمعية ، وحاول ان ينسب كل واحد من هؤلاء الرجال القاعدين امامه الى جنسياتهم الخاصة ، وكان يجمل الفوارق التي تباعد بين ممثلي الدول الاوربية الا يحسب القسم الاكبر من اولئك السياسيين فرنسا وبين محض عندما يسمعون ينطقون ويتكلمون بلهجة باريزية رقيقة . الا يدور في خلدك ان المسيو لوشير سياسيا هولنديا ، وان المسيو بول نوآكور نائبا ايطاليا ، وان المسيو هنري ديسه جوفيل ارسقراطيا اسبانيا ؟ حدثني احد الروسيين ان سخناء المسيو بوانكاربه تشابه هيئة تجار مدينة موسكو . ثم ان المسيو البير توماس يشبه البروفسور المر هيدلبرغ .

لا اريد البحث في هذه المقالة عن المشكلة الانكليزية التركية في الموصل التي كادت تفرم نار الحرب بين هاتين الدولتين ، فانها من جملة الحوادث التي يتوجب على جمعية الامم الاهتمام بها ورعايتها . فبدلا من ذلك رأيناها في دورتها السادسة

لأتبحث سوى دستور الجمعية ووسائلها العملية و ومدى صلاحيتها و وحفظ كيانتها
بينما كانت اوربا في شهر مارس سنة ١٩٢٥ واجمة هالعة و كانت المستر اوستن
شانبر لان يلقي في مدينة جنيف خطابا المهيب « ظالمه فيه الرحمة
وباطنه فيه العذاب » و يعارض فيه فكرة الجزى بمقتضى البروتوكول
الذي تناقشت فيه جمعية الامم هذه المرة ايضا . وقد افتتح المسيو بالنليفيه و ذلك
الرجل الخبير و الجلسة السادسة للجمعية بخطاب جاء فيه : « لا اظنكم قد نسيتم انها
السادة بالجهد الذي بذلناه في تهيئة و تحضير مواد البروتوكول و حينما حاولت لجنتمكم
القضائية و هيئتكم العسكرية احكام سد الثغرات التي يخشى ان تنفذ منها الشدة
والقسوة . ولا احسبكم ساهين عن التعريف الذي اعطيناه للمهاجم حيث نعتناه
بعد الجنس البشري . ولم يغرب عن بالك الواجبات الملقة على عاتق الاعضاء و
والعقوبات الاقتصادية والعسكرية التي تحمل بين يقرق عهد الضمانة » و تكلم بعده المستر
شامبرلين و اظهر ان البروتوكول لا يشابه عهد الضمانة . فرد عليه المسيو بول
نوتور بخطاب بين فيه ان كل الاصول التي اقرها البروتوكول ضمن ذلك
العهد . مهما طالت هذه المحادثات العقيمة غير المحدية فانكثرا لانبحثها بصورة
عامة لانها تقلل المحافظة على سياستها التجريبية « وايت اند مي » لذلك اتفق عموم
اعضاء الجمعية او تظاهروا انهم متفقين على ان اقرار السلام في العالم لا يتم دفعة
واحدة بواسطة تنظيم البروتوكول بل ينتج من الاتفاقات الجزأة والمعاهدات التي
تعقد بين مختلف الشعوب تحت رعاية جمعية الامم . وعبارة اخرى ان كتاب
السلام الجليل بدل كتابة طبقا لخطة مرسومة توضع فصوله تدريجيا بالنسبة
الى البواعث والاحتياجات الخاصة التي من شأنها تحديد الوضعيات النسيية للامم
اذ لم تكن هذه القاعدة الاختبارية التي اؤتمت بها بريطانيا العظمى مفيدة
فعلي على الاقل قابلة للتطبيق و انفع من الثالثة غير ان الكونت ابوفي رئيس الوفد

الهنغاري اظهر في خطابه الممتع عكس هذا الامر قال :
 انت من مزايا البروتوكول تخفيف وطأة المعارضة والتزاع التي تنشأ في اوربا
 الوسطى ، فضلاً عن كونه عالمي ويحتوي على مبادئ التحكيم الاجباري المفروض على
 جميع الامم بالسواء . ولولاه لما قدرت الشعوب اعتياداً على شعورها الخاص على وضع
 حد لاحقادها القديمة . وقد آزر فكرة البروتوكول اينسا الميسو كينون دي ليون
 مندوب الحكومة الاسبانية ، والميسو بييس مندوب حكومة تشيكوسلوفاكيا اما جمعية
 الامم فقد اغتخت باحترام امام ما اقترحت بريطانيا العظمى ، ولكن اعتماد اعضائها
 واصغائهم لخطاب الميسو بول يونكور اثبت بانها سوف لا تدع البروتوكول يتلاشي
 وانها لن تتخلى عن فكرة التحكيم الاجباري .

هل تريد الحكومة البريطانية الاستمرار على التثبت بهذه المعارضة ومعاكسة
 عواطف الشعوب التي فلقنت من عنادها ؟ الاتدري هذه الخليفة ان معارضتها لفكرة
 التحكيم الاجباري تنزل اعمدة البناء المقدس الذي تحولت نحوه ابصار الامم منصة
 لاستماع الكلمة الحاسمة عن قرب حلول العصر الجديد ؟ ولم تكن ننظر من المستر
 اوسنن شامبرلان ، ذلك المفكر القدير ، عرض فكرة نزع السلاح الادبي
 واعتبارها المأمن الوحيد الذي تلجأ اليه البشرية اتقاء من الاخطار الدائمة . الا
 يرى ان نزع السلاح الادبي لا يحقق السلام وان هو الا تاج لامع جميل يوضع على
 مفارقة في خاتمة الموضوع ونهاية الفصل . فما دامت الشعوب تتنازع وتقاتل وتنتقم
 وما دامت كل امة تنظر لمصالحها الخاصة عاملة على صيانتها فلا سبيل لنزع السلاح
 الادبي فمن ذا الذي يقبل ساعته بذلك فلا يتخوف ولا يخشى نوايا اعدائه
 المتر بصين به ؟

ان الفكرة التي عرضها المستر شامبرلان وحسبها افضل حل عملي واحسن اداة
 لافترار السلام بغير قابلية للتحقيق . بعيدة عن العقل . ولو كان ذلك صحيحاً لما تم الا

حينما يصل البشر الى اعلى ذروة الكمال الادبي وعلى كل فاننا نأمل من اخواننا
البريطانيين ان لا يمارضوا مبدأ جمعية الامم الحيوبي الا وهو التحكيم الاجباري .
(تعريب الحقوق)

الحكومة تقليدية اكثر مما هي تطورية

الحكومة نظام أمري انتارى . وكل موظف فيها آمر ومأمور فهو ملزم ان
يغذ اوامر وقوانين ادارية ، ويمليها على من هم دونه ، وقلا يتاح له ان يتصرف
حسب رغبته . وان لاح له رأي سديد يجحد عقبات عظيمة في سبيل تنفيذه . وقد
لا يباح له ان ينفذه بتاتا لأنه يجب ان يستصدر به امراً او اذنآ من هيئات عليا
مختلفة . فذللك ترى ان نظمات الحكومات بطيئة التطور جداً ، فقلآ عن انها
تقوى روح الامر والانتار في موظفيها فتظهر هذه الروح في حياتهم الشخصية
والعائلية ، وتستوقف قوة الاستنباط والاختراع والانشاء والابداع فيهم ، بل تصغر
شخصيتهم ونقل ثقتهم بانفسهم واعتمادهم عليها ، وتضييق دائرة مطامحهم ، واخيراً
يتراوون لك كأنهم آلات في معمل ، وكل واحد منهم بارع في عمله المتكرر فقط
وهو وراء دائرة عمله ضعيف الاختبار جداً .

« علم الاجتماع »